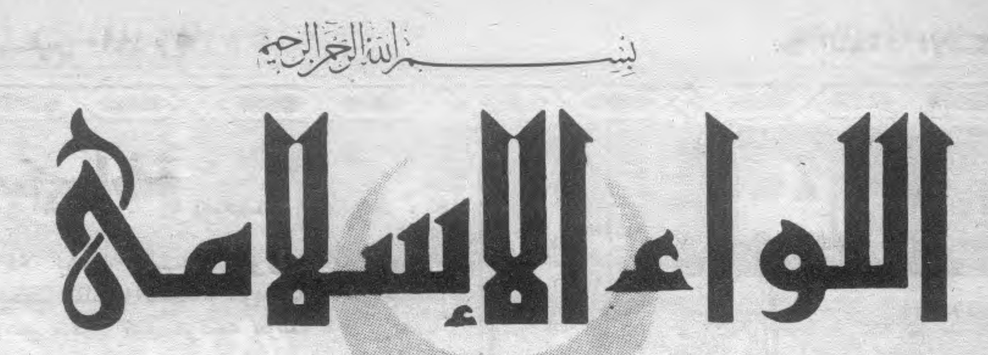

ملحق ٣
خواطر
إمام الدعاة



ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " قرآن كريم

● السنة التاسعة العدد (٤٢٦) ● الخميس ٢٥ من شعبان ١٤١٠ هـ . ٢٢ من مارس ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

"أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ * إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"

(الآيتان ٢، ٣ من سورة يونس)

خواطرى حول القرآن الكريم

يد الله ممدودة بالأسباب ولكننا تركنا الأسباب .. فتأخرنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد ..

فقد وقفنا فى اللقاء السابق عند قول الله سبحانه

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

« أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين »

« من الآية ٢ سورة يونس »

وقلنا : إن قول الحق سبحانه وتعالى :

« قال الكافرون إن هذا لساحر مبين »

منسجم مع النص .. لأنهم لن يقولوا هذا الكلام .. إلا إذا كان الرسول قد أبلغهم .. بأنه مرسل من الله .. وبشرهم بالجنة وأنذرهم بالنار .. فلما فعل ذلك قالوا ساحر .. لأنه لايمكن أن يقولوا هذا الكلام الا بعد إبلاغهم بالرسالة .. والقرآن الكريم كما قلنا .. يترك للعقل أن يستنبط مايحدث .. مادام ذلك يتمشى مع منطق الأحداث .. فمثلا بالنسبة لبلقيس ملكة سبأ .. عندما جاء الهدهد وقال لسليمان عليه السلام ..

« إنى وجدت امرأة تملكهم »

« من الآية ٢٣ سورة النمل »

قاله له سليمان :

« اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون »

« من الآية ٢٨ من سورة النمل »

ولم يقل القرآن بعد ذلك .. إن سليمان كتب الكتاب .. وأعطاه للهدهد .. وأن الهدهد طار به .. وألقاه إلى ملكة سبأ .. وأنها قرأته .. ثم جمعت مستشاريها ووزراءها .. لتبلغهم ماحدث .. ولكن القرآن الكريم قال بعد ذلك مباشرة :

« قالت يأيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم »

« من الآية ٢٩ من سورة النمل »

وبذلك يكون القرآن الكريم .. قد اختصر رواية الأحداث .. لأنها مفهومة من السياق .. وعندما قال سليمان عليه السلام :

« قال يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين »

« من الآية ٣٨ من سورة النمل »

إذن فقد علم سليمان .. أن ملكة سبأ مقبلة عليه بالإسلام .. ويريد أن ينقل عرشها من قصرها إلى قصره هو قبل أن يصلوا إليه .. ومادامت ملكة سبأ ومن معها فى الطريق .. والذى سيذهب ليأتى بالعرش .. لابد أن يذهب ويفك العرش .. ويأتى به قبل أن تصل بلقيس ومن معها .. الإنس العادى لايقدر على ذلك .. لأنه محكوم بقوانين بشريته .. ولذلك لم يتكلم إنسى .. والجن العادى أيضا لم يتكلم .. ولكن من الذى تكلم ؟ .. يقول الله سبحانه وتعالى :

« قال عفريت من الجن »

« من الآية ٣٩ من سورة النمل »

أى من أقوى أقوياء الجن .. فالجن فيهم القوى .. وفيهم غير القوى .. ماذا قال العفريت ؟ .. يقول الحق تبارك وتعالى :

« أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك »

« من الآية ٣٩ من سورة النمل »

وكم يمكث سليمان عليه السلام فى مقامه ؟ .. ساعة أو ساعتين أو ثلاث ساعات .. وهنا تكلم الذى عنده علم من الكتاب .. يقول الله جل جلاله :

« قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك »

« من الآية ٤٠ من سورة النمل »

وفى خلال الكلام .. كان طرف سليمان (أو جفن عينه العلوى) .. قد ارتد عدة مرات .. أى أنه لم يستأذن سليمان .. ولكن سليمان

فوجىء بعرش بلقيس أمامه .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

« فلما رآه مستقرا عنده »

« من الآية ٤٠ من سورة النمل »

أى فى زمن قصير جدا .. لايتسع لأى حوار

السحـر ومعجـزة موسـى

الكافرون قالوا عندما أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار .. وبشر المؤمنين بالجنة .. :

« إن هذا لساحر مبين »

وهم مرة يقولون على القرآن سحر .. ومرة يقولون على محمد ساحر .. مامعنى كلمة ساحر ؟ .. الساحر هو الذى يضع أشياء يوهمك أنها حقيقة ..

وهى ليست حقيقة .. ويجب أن نفرق بين السحر ومعجزة موسى .. حتى لايقـال إن المعجـزة من جنس السحر .. فمعجزة موسى .. غيرت طبيعة العصا إلى حية .. بينما سحرة فرعون لم يغيروا .. حقيقة الحبال والعصى التى ألقوهـا .. ولكنهم أوهموا الناس بسحرهم .. أنها انقلبت إلى حيات .

والسحـر يقتضى سـاحـرا .. ويقتضى مسحورا .. ويقتضى عملية السحر نفسها .. والله سبحانـه وتعالى قال عن السحرة :

« سحـروا أعيـن النـاس واسترهبوهم »

« من الآية ١١٦ من سورة الأعراف »

أى أنهم لم يغيـروا طبيعة الأشياء .. وأنما سحروا الأعين لترى غير الحقيقة .. ولكن الحبال والعصى التى ألقوها .. بقيت على حقيقتها .. وإن بدت للناس غير ذلك .. ولكن معجزة موسى .. تغيرت فيها العصا لتصبح حية فعلا ..

والله سبحانه وتعالى .. حين اختار موسى عليه السلام للقاء سحرة فرعون .. دربه حتى لاينزعج ويخاف عندما تتحول العصا إلى حية .. ولذلك قال له الله سبحانه وتعالى :

« وما تلك بيمينك ياموسى »

« من الآية ١٧ من سورة طه »

وبعد أن قال موسى هى العصا .. قال له الله تبارك وتعالى :

« قال ألقها ياموسى . فألقاها فإذا هى حية تسعى »

« الآيتان ١٩ ، ٢٠ من سورة طه »

حينئذ خاف موسى .. من تغير العصا إلى حية .. فطمأنه الله سبحانه وتعالى .. وقال :

« خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى »

« من الآية ٢١ من سورة طه »

فأخذها .. وكان هـذا تدريبـا عمليا .. على ماسيحدث عند مواجهة السحـرة .. وعنـدمـا حـدثـت المواجهة .. وقال لهم موسى .. ألقوا حبالكم وعصيكم .. يقول الله تبارك وتعالى :

« فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى »

« من الآية ٦٦ من سورة طه »

يارب — لماذا سجد السحرة

ومادام الحق سبحانه وتعالى قال : « يخيل إليه » .. فهى فى الحقيقة لاتسعى .. وعنـدما ألقى مـوسى عصاه .. تحولت إلى حية حقيقية .. تلقف حبالهم وعصيهم .. وهنا سجد السحرة .. لماذا ؟ .. لأنهم عرفوا أنها معجزة وليست سحرا .. فأعينهم غير مسحورة .. وهم يرون عصيهم وحبالهم على حقيقتها ..

اذن فالساحر لايرى الا حقيقة الشىء .. والمسحور هو الذى يخيل إليه غير الحقيقة .. ولذلك عرف السحرة .. أن تحول عصا موسى إلى حية ليس سحرا .. ولا هو من عند موسى .. ولذلك لم يقولوا آمنا بموسى بل :

« قالوا آمنا برب هـارون وموسى »

« من الآية ٧٠ سورة طه »

وسجـدوا لأنهم رأوا معجزة حقيقية .. فى تحول العصا إلى حية .

الله أكبر — الكفـار يعتـرفون بغبـائهم

كفار قريش عندما قالوا .. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن هذا لساحر مبين »

اعترفوا بغبائهم .. لأن الساحر يسحر الناس .. ويجعلهم يتخيلون أشياء غير حقيقية .. ورسول الله صلى الله عليـه وسلم والقرآن الكريم .. ملأ القلوب بالإيمان .. بحيث إن الولد كان يخرج عن طاعة أبيه وأهله .. والعبد يتمرد على سادته .. ولكن هؤلاء الكفار لم يفطنوا .. إلى أن المسحور لايملك إرادة مع الساحر .. فإذا كان محمد عليه الصلاة والسلام .. قد سحر من آمنوا به .. فلماذا لم يسحركم ؟ .. بقاؤكم غير مسحورين دليل على أن المسألة ليست سحرا .. وهنا يلفتنا القرآن .. لقضية فوق هذه القضية فيقول الله جل جلاله :

« إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام »

« من الآية ٣ من سورة يونس »

وهكذا جاءت القضية الإيمانية .. التى هى أكبر وأقوى من السحر .. إذا كان الله تبارك وتعالى هو الذى خلق السماوات والأرض .. وأعد لك كونا ليستقبلك .. كان يجب أن تلتفت إلى هذا .. وتعرف أن المسألة أكبر من أن تكون سحرا .. لأن هناك كونا ووجودا .. وشمسا وقمرا ونجوما .. وغير ذلك من آيات الله .. مما يدل على عظمة الخالق ..

ولقد ضربنا لذلك مثلا .. ولله المثل الأعلى .. وقلنا هب أن إنسانا كان فى طائرة .. هبطت فى مكان مهجور فى الصحراء .. ليس فيه طعام ولا ماء ولا أى شىء .. ثم غلبه النوم .. وعندما استيقظ .. وجد مائدة عليها أفخر الطعام والشراب .. أما كان قبل أن يشغل نفسـه بالطعام .. أن يسأل من الذى أعد له كل هذه النعم ؟

لاخـالق إلا اللـه



ذلك الكون الملىء بالنعم .. جئنا إليه فوجدنا .. أشياء ليست فى قدرتنا تخـدمنا .. عنـدما تسـاءلنا من الخالق ؟ .. جاءت رسالات السماء لتقول إنه الله سبحانه وتعالى .. خلق السمـاء والأرض والشمس والنجوم .. نقول إما هذا الكلام صدق .. فنؤمن به .. فإذا لم يكن صدقا .. فمن الذى خلق هذا الكون .. واذا كان الذى خلق هذا الكون غير الله .. فلماذا لم يخبرنا بما فعل ؟

إذن .. ففى قضية الخلق .. مادام لم يظهر معارض .. فالذى قال هو الذى فعل .. إذن فالله سبحانه وتعالى .. هو الذى أوجد وهو الذى خلق ..

ولقد قلنا إنه إذا كان عندك ضيوف فى منزلك .. وعندما انصرفوا

الكافر لايستطيع ال...

فكيف يريد أن ...

وجدت حافظة نقود .. فـأرسلت خادمك إلى كل من كان موجودا .. فقالوا لم نفقد شيئا .. ماعدا واحدا هو الذى قال إنه فقد حافظة نقوده .. وكل الذين كانوا موجودين قالوا لم نفقد شيئا .. تكون حافظة النقود .. تخص هذا الذى قال إنها له ..

اذن فالدعوة لصاحبها إلى أن يوجد معارض .. ومادام أحد لم يجرؤ ولن يجرؤ .. على ادعاء خلق السمـاوات والأرض .. وخلـق الإنسان .. والله سبحانه وتعالى قال أنا خلقتها .. يكون جل جلاله هو الخالق .

الاعتـراض على الرسـول وليـس على القـرآن



ومادام الله تبارك وتعالى هو الخالق .. فمن حقه أن يختار الرسول الذى يريده لإبلاغ منهجه .. ولكنهم اعترضوا على هذا الاختيار .. كما يروى لنا الله سبحانه وتعالى فى قوله :

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »

« من الآية ٣١ من سورة الزخرف »

اذن فليس هناك اعتراض على القرآن .. إنما الذى يضايقهم أنه نزل على هذا الرسول اليتيم محمد عليه الصلاة والسلام .. بل إنهم تمادوا فى الكراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقالوا كما يروى لنا الحق سبحانه وتعالى :

« اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم »

« من الآية ٣٢ من سورة الأنفال »

وكان من الأجدر بهم أن يقولوا .. يارب إن كان هذا هو الحق من عندك فأهدنا إليه .. ولكنهم طلبوا الموت .. عداوة منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ..

...طيع السيطرة على رزقه أو أجله ...يد أن يتحكم فى مشيئة الله ؟

قريش لم تعترض على القرآن ذاته

ولكنها اعترضت أن ينزل على رجل فقير

إذن فالمسألة عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهذه عداوة غير منطقية .. لأنكم عرفتم عنه الصدق والأمانة .. حتى لم تجدوا من تأتمنونه .. على الأشياء الغالية التى تملكونها الا محمدا عليه الصلاة والسلام .. ولو كنتم غير مؤمنين أنه صادق .. ماأودعتم أغلى ماتملكونه عنده .. ولو كان كاذبا .. لكذب وقال لم تعطونى شيئا .. ولكنه صلى الله عليه وسلم .. بلغ من حرصه على الأمانة .. أنه فى يوم الهجرة .. وقد تآمروا على قتله .. حرص على أن يعيد اليهم أماناتهم .. وكلف عليا بن أبى طالب برد الأمانات إلى أصحابها .



يريدون نبيا حسب هواهم

الحق سبحانه وتعالى يقول :

« إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام »

اذا وخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس .. ومادام خلق هذا الكون العظيم من الله سبحانه وتعالى .. ومادام الكون مخلوقا بحكمة ودقة بالغة .. اذن فكل مايصدر عن الله .. يتم بحكمة بالغة .. وقولكم :

« لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »

يدل على أنه لاطعن لكم بالنسبة للقرآن .. ولو أنه نزل على واحد .. من سادة قريش وكبرائها لقبلتموه .

نقول هل تريدون أن تضعوا قيودا على مشيئة الله ؟ .. الله ينزل وحيه على من يشاء .. هل تريدون أن تتحكموا فى الرحمة العليا لله فى أن يختار رسولا كما يشاء ؟ .. إنكم فى هذه الدنيا .. لاتسيطرون على أرزاقكم .. ولا على أنفسكم .. ولا على أقداركم .. فكيف تريدون أن تتحكموا فى مشيئة الله سبحانه وتعالى ؟ .. والله جل جلاله يرد عليهم بقوله :

« أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات »

« من الآية ٣٢ من سورة الزخرف »

الألوهية والربوبية

إذن ففى الأمور الدنيوية اليومية .. الله سبحانه وتعالى هو المتحكم والمتصرف فيها .. فكيف فى قمة الرحمة ؟ .. وفى اختيار رسول ؟ .. الحق تبارك وتعالى يقول :

« إن ربكم الله » ..

هناك « رب » .. وهناك « الله » ..

حين تسمع كلمة « رب » تنصرف إلى الخلق وإلى التربية .. ولذلك يقال فلان رب هذه الأسرة .. أى المتولى تربيتها .. والرب هو الخالق .. الذى خلق من عدم .. (بفتح العين) .. وأمد من عدم (بضم العين) ..

ولذلك فهو رب لكل خلقه .. المؤمن منهم والكافر .. المطيع منهم والعاصى .. ومادام ربا لكل خلقه .. فهو رازق لكل خلقه .. لأنه استدعانا للدنيا وأوجدنا .. لذلك كان لابد أن يعطى لكل رزقه الذى يبقى حياته .. ويأمر الكون أن يعطى بالأسباب ..

فإذا حرث الإنسان الأرض .. وبذرها أعطته الزرع .. وإذا بحث فى الكون .. كشف له الله عن أسراره التى يرتقى بها فى حياته .. ولكننا نسمع من يقول لك .. لماذا تقدم الكفار فى أمور الدنيا ؟ .. ونحن متأخرون .. ! .. نقول لأنهم أحسنوا الأخذ بعطاء الربوبية .. بينما لم نحسنه نحن .. وهكذا سبقنا الكفار إلى عطاء الله فى الربوبية .. ونحن نتفرج عليهم .. ولو كنا مؤمنين حقا .. لسبقناهم فى عطاء الربوبية والألوهية .

هذا هو معنى الرب .. أما الله .. فهو إله المعبود .. والمعبود أى يطاع فى افعل ولا تفعل .. والألوهية للمؤمنين وحدهم .. ولذلك فإن الله رب الجميع .. وإله من آمن به .. وعطاء الألوهية هو المنهج .. وعطاء الربوبية هو الأمور المادية .. فالناس فيها شركاء .. المؤمن والكافر والطائع والعاصى .. ولذلك إذا أحسن الكافر الأخذ بأسباب الدنيا أعطته .. مصداقا لقول الله تبارك وتعالى :

« من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه .. ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب »

« من الآية ٢٠ من سورة الشورى »



إذن فمن عمل بأسباب الدنيا وحدها أخذ منها .. ومن عمل للآخرة زاده الله فيها .. الآية الكريمة تقول :

« إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » ..

ومادام الذى ربى .. هو الذى كلف .. فيجب أن نطيعه .. الحق سبحانه وتعالى حدد أيام خلق السماوات والأرض .. بستة أيام فى كل أيات القرآن الكريم .. ولكن فى سورة فصلت .. وفى ظاهر أسلوبها .. كانت الستة ثمانية .. فما هى الحقيقة ؟

نقول إن كل شىء مجمل .. يفسره تفصيله .. وإذا قرأنا القرآن فى سورة فصلت .. يقول الحق سبحانه وتعالى :

« قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين »

« الآيتان ٩ ، ١٠ سورة فصلت »

أصبحت الأيام الآن ستة .. خلق الأرض فى يومين .. ثم خلق الجبال وتقدير الأقوات فى أربعة أيام .. أى ستة أيام .

ثم تمضى السورة الكريمة : ـ

« ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين »

« الآيتان ١١ ، ١٢ من سورة فصلت »

إذن فهناك ستة أيام فى خلق الأرض ويومان لخلق السماوات أى ثمانية .. هذا هو التفسير السطحى .. ولكنك اذا نظرت إلى الآيات الكريمة

« أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين »

هذه بداية خلق الأرض .. ثم جاء بتتمة خلق الأرض بقوله تبارك وتعالى :

« وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام »

هذه تتمة خلق الأرض .. أى أن الله سبحانه وتعالى اتم خلق الأرض فى أربعة أيام منها يومان فى خلق الأرض ذاتها .. ويومان فى تقدير أقواتها وجبالها .. فيكون اليومان الأولان .. داخلين فى الأربعة .. ثم خلق السماوات فى يومين .. فيكون المجموع ستة أيام .

مثل من حياتنا

ولكى نقرب ذلك إلى الأذهان .. نقول إن القطار .. يسافر من القاهرة إلى طنطا فى ساعتين .. ومن القاهرة إلى الاسكندرية فى أربع ساعات .. هل معنى ذلك أن القطار يأخذ من القاهرة إلى الاسكندرية ست ساعات ؟ .. لأن المسافة من القاهرة إلى طنطا .. هى تفصيل للرحلة إلى الاسكندرية وجزء منها .. والزمن دائما نسبى .. فعلى الأرض .. اليوم أربع وعشرون ساعة والعام اثنا عشر شهرا .. فى كوكب الزهرة يومها أطول من عامها .. عامها ٢٢٥ يوما بتوقيت الأرض .. ويومها ٢٤٤ يوما بتوقيت الأرض ..

إذن فيومها أطول من عامها .. لأن دورتها حول نفسها بطيئة .. ودورتها حول الشمس سريعة ..

واليوم فى مقاييسنا نحن دورة الأرض حول نفسها .. أى الليل والنهار .. ولكن هناك فصل بين الليل واليوم .. والله سبحانه وتعالى يقول :

« سيروا فيها ليالى وأياما »

« من الآية ١٨ من سورة سبأ »

إذن فاليوم من شروق الشمس إلى غروبها .. ثم يأتى الليل .. وهناك يوم الدنيا عند الله .. ويوم الآخرة .. يوم الدنيا عند الله سبحانه وتعالى ..

« كألف سنة مما تعدون »

ويوم الآخرة عند الله خمسون ألف سنة .. مصداقا لقوله جل جلاله :

« تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »

« من الآية ٤ من سورة المعارج »

ولا تناقض فى هذا كله .. لأن الله خالق الزمن .. فإذا أراد يوما ألف سنة خلقه .. وإذا أراد يوما مقداره خمسون ألف سنة خلقه .. واذا أراد يوما مقداره مليون سنة خلقه .

الإسـتواء على العـرش

الله سبحانه وتعالى يقول :

« ثم استوى على العرش »

واستوى على العرش .. معناه استتب له الأمر .. وقد وقف العلماء عند كلمة : « استوى » طويلا .. ووجدوا أنها ذكرت فى سبع سور .. هى : الأعراف ، ويونس . والرعد . وطه . والفرقان . والسجدة . والحديد .. إذن فهى ذكرت سبع مرات .

يقول الحق سبحانه وتعالى فى الأعراف .

« ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره »

« من الآية ٥٤ سورة الأعراف »

وفى سورة يونس :

« إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش »

« من الآية ٣ سورة يونس »

وفى سورة الرعد :

« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش »

« من الآية ٢ سورة الرعد »

وفى سورة طه :

« الرحمن على العرش استوى »

« من الآية ٥ سورة طه »

وفى سورة الفرقان :

« الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش »

« من الآية ٥٩ من سورة الفرقان »

وفى سورة السجدة :

« ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع »

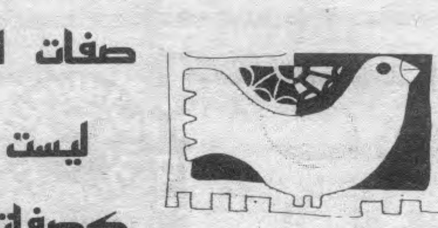
« من الآية ٤ من سورة السجدة »

الساحر لايمكنه تغيير طبيعة الأشياء وإنما يسحر الأعين لترى غير الحقيقة

وفى سورة الحديد :

« ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها »

« من الآية ٤ من سورة الحديد »



صفات الله ليست كصفاتنا

هناك صفات وصف الله بها نفسه .. وهى توجد عند البشر .. لاتأخذها على مقتضى ماهو عندك .. ولكن خذها على مقتضى واجب الوجود والممكن الموجود .. كيف ؟ .. الله سبحانه وتعالى له علم .. يعلم أننا الآن نجلس فى مسجد كذا ونقول كذا .. والحاضرون يعلمون .. ولكن أعلم الله سبحانه وتعالى يساوى علمك ؟ .. علم الله لها قبل أن توجد .. وقبل أن أخلق أنا أو تخلقون أنتم ..

إذن فعلم الله شىء .. وعلمنا شىء .. علمه جل جلاله يناسبه .. وعلمى يناسبنى .. نقول الله غنى وفلان غنى .. ولكن أغناك يساوى غنى الله ؟ .. إذن فمادام الحق سبحانه وتعالى .. ذاته ليس كذاتنا .. وصفاته ليست كصفاتنا .. وفعله جل جلاله ليست كفعلنا .. فخذ استواءه على أنه ليس كاستوائنا .. الذى يفسد الدنيا .. أنك تحاول أن تأخذ صفات الله وأفعاله بالمفهوم البشرى .. ولكن الله سبحانه وتعالى .. ليس كمثله شىء .. فلا تأخذ الاستواء بالمعنى البشرى .. الله تبارك وتعالى يقول :

« لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا »

« من الآية ١٣ سورة الزخرف »

ومعنى الاستواء هنا .. أنك جلست على ظهره واستقرت لك الدابة .. وأصبحت طائعة لك .. إذن فالاستواء هنا معناه التمكن .. ويقول جل جلاله :

« ولما بلغ أشده واستوى »

« من الآية ١٤ سورة القصص »

واستوى هنا معناه .. أن تكوينه اكتمل .. لأنه وهو صغير .. فيه أشياء لم تكتمل .. كجهازه العصبى وجهازه التناسلى .. وعندما تستكمل هذه الأشياء .. ويكون قادرا على إنجاب مثله .. يكون قد استوى .. ويقول جل جلاله :

« كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه »

« من الآية ٢٩ من سورة الفتح »

أى نضجت ثماره .. والثمار لاتنضج إلا إذا كانت بذورها صالحة لإنجاب مثلها .. أى أصبحت تضمن بقاء النوع .. ويقول تعالى :

« واستوت على الجودى »

« من الآية ٤٤ من سورة هود »

فى وصفه لسفينة نوح .. التى حملته هو والمؤمنين .. ثم عندما انتهى الطوفان .. استقرت السفينة على الأرض مرة أخرى .. إذن فكل استواء يلائم ماوصف به .. فلا تأخذ شيئا نسب إلى الله سبحانه وتعالى بمقياس الشىء المنسوب إلى البشر .. ففعل الله غير فعلك ..



قوة الله ليس معها زمن

ولذلك قلنا فى حديث الإسراء .. حينما كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فى أنه أسرى به .. وقالوا أتدعى أنك أتيتها فى ليلة .. اى الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .. ونحن نضرب اليها أكباد الإبل شهرا .. وكان تكذيبهم دليلا على أن الإسراء وقع بالجسد .. لأنه لو كان بالروح ماناقشوه .. فالأحلام لاتناقش .. إنما غباؤهم أن الله جل جلاله قال :

« سبحان الذى أسرى »

« من الآية ١ من سورة الاسراء »

ولكنهم لم يأخذوا الفعل بقدرة الله سبحانه وتعالى .. إنما أخذوه ببشرية محمد صلى الله عليه وسلم .. مع أن الذى أسرى هو الله ..

ولذلك قال : « سبحان » .. أى تنزيه الله أن يشبه فعله بفعل أحد .. والمسافة تتناسب مع القوة تناسبا عكسيا .. فإذا ذهبت إلى مكان ماشيا تقطع المسافة فى عشر ساعات .. وبالسيارة فى ساعتين ..

وبالطائرة فى نصف ساعة .. وبالصاروخ فى دقيقة .. إذن فكلما زادت القوة قل الزمن .. فإذا كانت القوة منسوبة إلى الله .. أيكون معها زمن ؟

الله سبحانه وتعالى قال لنوح :

« فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك »

« من الآية ٢٨ من سورة المؤمنون »

أى اطمأننت على أن كل شىء .. قد تم ترتيبه على مايرام .. فأستوى على العرش .. معناها أن الأمور استتبت .. ولكن لانأخذها بمفهومنا البشرى .. لأن الله تبارك وتعالى .. له استواء يليق بذاته - والشاعر القديم .. حين جاء ليمدح الخليفة .. جاء بنماذج لاكتمال الصفات .. فحاتم مثلا يضرب لاكتمال صفة الجود والكرم .. وعنترة للشجاعة . والأحنف بن قيس للحلم .. والشاعر يريد أن يقول إن الخليفة .. قد جمع صفات الكمال .. فقال :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

أى أراد أن يقول إن الخليفة مجمع فضائل .. فتقدم رجل من الحاشية .. وقال له الأمير فوق ماذكرت .. أتشبه أجلاف العرب بالأمير .. فماذا قال الشاعر ؟

لاتنكروا ضربى له من دونه
مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

لأن الله سبحانه وتعالى قال :

« مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى زجاجة »

« من الآية ٣٥ من سورة النور »

إذن فالله سبحانه وتعالى .. حين يريد أن يقرب صورة للبشر .. يعطيها لهم بما هو موجود .. ولذلك الجنة فيها .. مالا عين رأت ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر .. ومادام لاخطر على قلب بشر .. فلاتوجد ألفاظ فى اللغة تعبر عنه .. فالمعانى توجد أولا ثم تأتى الألفاظ .. ومادام لم يخطر على قلب بشر .. فلا يوجد له معنى عندنا .. وبالتالى لايوجد لفظ يعبر عنه .

واستواء الله سبحانه وتعالى .. يناسب ذاته .. وذاته ليس كمثلها شىء .. إذن فلاتوجد ألفاظ عندنا .. تعبر عن هذا الاستواء

وإلى لقاء آخر إن شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم
اللواء الإسلامى
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. قرآن كريم
● السنة التاسعة العدد (٤٢٧) ● الخميس ٢ من رمضان ١٤١٠ هـ. ٢٩ من مارس ١٩٩٠ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

" إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ "

(الآية الثالثة من سورة يونس)

خواطرى حول القرآن الكريم

إذا رأيت تعب الناس فى حياتهم فاعلم أن حداً من حدود الله عطل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فقد وقفنا فى اللقاء السابق .. عند قول الحق سبحانه :

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

« إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش »

وعرفنا معنى الاستواء بانه استواء يليق بالله سبحانه وتعالى .. كل صفة من صفات الله يوجد مثلها فى البشر .. ولا تاخذها فى الله .. مثل وجودها فى البشر .. فلله سبحانه وتعالى وجود .. وللبشر وجود .. وليس وجود الله جل جلاله كوجود البشر .. ولله سبحانه وتعالى علم .. وللبشر علم .. وعلم الله جل جلاله ليس كعلم البشر .. ولله تبارك وتعالى فعل فى الأشياء .. ولنا فعل .. ولكن فعلنا لا يتناسب مع فعل الله .. فلا تاخذ استواء الله على المعنى البشرى .. بل خذه بسبحان الله وليس كمثله شىء .

الحق سبحانه وتعالى يقول :

« يدبر الأمر »

وتدبير الأمر هو ترتيب وجوده .. ترتيبا يجعل كل شىء موجودا فى مكانه بحكمة .. والله سبحانه وتعالى له صفة علم .. وله صفة ارادة .. وله صفة قدرة .. وصفة العلم هى التى تضع كل شىء فى مكانه بحكمة .. وصفة الارادة هى التى تجعل كل شىء ممكنا .. وصفة القدرة .. هى التى تبرز المراد له .. اذن فهناك علم وهناك قدرة تبرز المراد على وفق العلم ..

كل شىء لخدمة الانسان

والله سبحانه وتعالى يدبر الأمر وهذا أمر منطقى .. لماذا ؟ .. لأنه هو الذى خلق السماوات والأرض .. واستوت له الأمور .. بحيث لم يعد هناك خلق جديد .. إلا ما يبرزه الله جل جلاله لنا بكلمة « كن » ..

ومادام الله سبحانه وتعالى .. هو خالق السماوات والأرض .. وخالق الانسان .. فلابد أن يدبر للانسان أمور ماديات حياته ..وقيم حياته .. الماديات فى أن سخر الله سبحانه وتعالى .. كل ما فى الكون لخدمة الانسان .

فالسماوات والارض .. والشمس والقمر والنجوم .. والماء والهواء وما فى الأرض من عناصر .. توجد للانسان ما يحتاج له فى حياته .. خلقها الله سبحانه وتعالى .. قبل أن يخلق الانسان .

وهكذا كانت كل أمور ماديات الحياة .. موجودة قبل أن يخلق الانسان .. والانسان سيد هذا الكون .. طرأ على كل هذه الأمور - أى جاء وكل ماديات الحياة التى تخدمه .. موجودة فى الكون قبل أن ياتى .

ولكن الحق سبحانه وتعالى الذى دبر الأمور المادية لحياة الانسان .. لم يكن ليترك قيمة بدون تدبير .. ولذلك أرسل الرسل ليدل الانسان على قيمه الروحية .. فلا تقل لماذا أرسل الله رسولا بشرا .. ولا لماذا جعل محمدا عليه الصلاة والسلام خاتم المرسلين .

لأن هذه من ضمن تدبير الأمر .. والله سبحانه وتعالى .. هو الذى خلق .. ولا أحد يستطيع أن يجادل فى ذلك .. ولا يدعى أنه خلق الكون .. أو خلق الانسان .

أخذ القيم عن الله

وحركة الانسان فى الكون .. وتنظيم الوجود بين الانسان والكون كان لابد أن يكون له منهج .. فالمنهج فى افعل ولا تفعل .. أمور قال الله سبحانه وتعالى فيها افعل .. وأمور قال فيها لا تفعل .. وأمور من المباحات لم يقل الله جل جلاله فيها .. افعل ولا تفعل .. وإذا استعرضت الأحداث فى الكون .. تجد أن الأمور التى قال الله فيها افعل قليلة .. والأمور التى قال فيها لا تفعل قليلة ..

والكثير هو الذى تركه الله سبحانه وتعالى .. للانسان يفعله أو لا يفعله حسب إرادته .. وما دام الله سبحانه وتعالى .. ترك الكثير مباحا .. فخذ القيم عن الله .. لماذا ؟

الكون مخلوق بدقة وانتظام

لأنك لو تدبرت فى الكون - لوجدت أن الكون المادى المخلوق من الله .. فى غاية الدقة والنظام .. فما تاخرت الشمس منذ ملايين السنين عن موعد شروقها ثانية .. ولا تقدمت ثانية .. ولا امتنعت أن تعطى ضوءها وحراراتها ونورها للكون .. وما امتنعت السماء عن أن ترسل الأمطار .. وما امتنعت الأرض عن أن تتفاعل مع أى حب يغرس فيها ..



لو تم اختيارنا وفق منهج الله لاستقامت لنا الأمور مثل قوانين الكون العليا

لتعطى الثمر والطعام .. كل شىء داخل فى نطاق القدرة .. يؤدى وظيفته بإحكام تام لا خلل فيها ..

فإذا نظرت إلى الأشياء .. التى تدخل فى قدرة الانسان وارادته .. والتى له فيها عمل واختيار .. تجد الفساد .. من أين جاء الفساد ؟

من أن اختيارنا تم على غير منهج الله .. ولو كان اختيارنا وفق منهج الله .. لاستقامت الأمور لنا .. كما استقامت قوانين الكون العليا .. التى ليست لنا فيها ارادة ولا فعل ..

فإذا رأينا فسادا فى الكون .. فيجب أن نلوم أنفسنا .. لماذا ؟

لأن الأمور الخارجة عن نطاق اختيارنا .. على غاية ما يكون من الدقة ..

فإذا أردنا أن تمتد هذه الدقة .. الى كل أمور الحياة .. فلنأخذ منهج حياتنا عن قيم الله ومنهجه .. ولا نفسد الأمر بأن نختار البدائل .. على غير مراد الله الشرعى فى كونه .. لذلك فإن رأيت عيبا فى الوجود .. أو رأيت شيئا أتعب الناس فى حياتهم .. فأعلم أن حدًّا من حدود الله قد عطل .



متطلبات العبادة

والناس يفهمون أن عبادة الله .. هى الصلاة فى المسجد .. وصوم رمضان .. واداء الزكاة فى موعدها .. والحج لمن يستطيع .. نقول : إن عبادة الله فى هذا فعلا .. ولكن هذه هى الرءوس .. التى تعطى للانسان منهج حياته .. فالصلاة ولاء دائم لله خمس مرات فى اليوم .. والصيام شهر فى السنة .. والزكاة من فائض المال .. والحج هو ترك المال والأولاد والأهل .. وانفاق المال .. كل ذلك لشحن الطاقة .. لتنطلق الى عمل الخير .. والى طاعة الله .

وأنت لو نظرت حتى الى هذه العبادات .. تجد أن لها متطلبات .

فالصلاة مثلا تحتاج الى قوة بدنية .. لتستطيع الركوع والسجود .. والركوع والسجود محتاجان الى أن يكون فيك حياة وفيك قدرة على الحركة .. ولكى تستطيع ذلك لابد أن تأكل .. اذن فأنت محتاج للطعام ليعطيك استمرار حياتك .. والقدرة على الحركة لتصلى .. ولكى تجد الطعام لابد أن تزرع الأرض .. وزراعة الأرض تحتاج لأشياء كثيرة .. أولها معرفة طبيعة الأرض .. وانتقاء البذور الجيدة .. ومعرفة أوقات الزرع والرى ومواعيد الجنى .

وكل هذا لابد له من علم .. وأجهزة كثيرة تنتج لك ما تحتاج إليه

فأنت محتاج الى علماء يدرسون طبيعة الأرض .. والى أخصائيين يختارون لك أحسن أنواع البذور .. والى من يوصل الماء اليك .. وأنت ان أردت أن تحرث الأرض لتضع فيها البذور .. فأنت محتاج الى محراث .. والمحراث محتاج الى حديد .. والحديد لابد أن يوجد من يستخرجه لك .. من باطن الأرض أو من الجبال .. ثم لابد من مصنع ليصهر لك هذا الحديد وينقيه .. ثم من يشكله لك على شكل محراث حاد الطرف ليستطيع أن يشق الأرض ..

ولكى نبنى هذا المصنع لابد من مهندسين .. ومن تخطيط .. ومن عمال بناء .. ومن آلات يتم تركيبها فى المصنع .. ومن صيانة لهذه الالات من مدربين على الاصلاح ..

هذا جزء يسير جدا مما تحتاج اليه لكى تحصل على لقمة العيش .. التى هى لازمة لحفظ حياتك .. واعطائك القدرة والطاقة لتؤدى الصلاة ..

وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب .. ولذلك فالعمل فى الحياة واجب .. لأن كل هذه الأشياء لازمة لكى تكون عندى القدرة والقوة على أن أصلى .

ماذا يلزمنا لأداء الصلاة

ثم نأتى بعد ذلك الى شىء آخر بالنسبة للصلاة .. لكى تستطيع أداء الصلاة .. لابد أن تستر عورتك .. ولكى تستر العورة .. فانك لابد أن تذهب الى تاجر الأقمشة .. لتشترى منه ما يستر عورتك .. هذا هو أبسط المطلوب .. وتاجر القماش الذى سخره الله لك .. فى أن يفتح محلا لبيع القماش .. لابد أن يأتى بالقماش من مصنع النسيج .. ومصنع النسيج محتاج الى آلات ومهمات .. وعمال وبحث علمى عن كيفية اتمام نسج القماش .. ومخزن ليضع الانتاج فيه .. ومصنع النسيج محتاج أيضا الى الغزل .. اذن فلابد أن يكون هناك مصنع يغزل .. ويعطى انتاجه لمصنع النسيج لينسجه .. ومصنع الغزل محتاج الى محلج ليعد القطن ويرسله لمصنع الغزل .. والمحلج محتاج الى حقل ينتج له القطن .

والى من يجنونه .. كل هذا أنت محتاج اليه .. لتستر عورتك فى الصلاة .. وكما قلنا مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .. ولكى تقف فى الصلاة مستور العورة .. فكل ما يخدم ستر العورة فى الصلاة واجب شرعى ..

اذن فالعبادة معناها كل حركة فى الحياة .. تؤدى الى إبقاء الصالح على صلاحه أو زيادته صلاحا .. أنت محتاج لكى تصل الى الماء الذى يبقى حياتك .. وقديما كانوا يشربون من البئر .. إياك أن تردم بئرا يشرب منها الناس .. لأنك فى هذه الحالة .. جئت الى الصالح النافع فأفسدته .. ولكن إن كنت تستطيع أن تزيده صلاحا فزده .. كأن تبنى له جدرانا .. تقيه من الرياح التى تردمه .. أو أن يأتى انسان .. ويأخذ الماء من البئر فى قرب .. ويوصله الى الناس .. أو أن يأتى انسان آخر .. فيبنى الخزانات والمواسير .. ليصل الماء الى كل فرد فى بيته ..

التدبر فى الكون

ومن العبادة أن تفكر وتتدبر فى الكون .. ساعة ينزل المطر الى الجبل لا يستمر على السفح .. بل ينزل ليملأ الوادى أولا .. ثم بعد ذلك قد يرتفع الماء فى الوادى فيصل الى الجبل .. اذن فمن هو أعلى يعطى أولا .. ومن هو أدنى يعطى ثانيا .. وهذا هو تبادل النفعية فى الكون .. والذى بنى خزانات المياه .. فكر فى أن يرفع الماء الى أعلى ليعطى الأدنى .. فبنى خزانات أعلى من كل المنازل .. ثم مد منها مواسير فأعطت الماء لكل منزل .. فازداد الصالح صلاحا ..

ويكون عمله هذا عبادة .. وإذا جلست فى سوق القرية .. تجد كل انسان قد جاء بشىء ليبيعه .. هذا بعجل بقر .. وهذا بجاموس وهذا بخراف .. وهذا بماعز وهذا بخضراوات .. كل هذا جاءوا به الى السوق ليبيعوه .

وتجد أناسا آخرين جاءوا .. وليس معهم شىء إلا المال ليشتروا .. وعندما تنتهى السوق تجد الصورة قد انعكست .. فالذين جاءوا بالسلع خرجوا ومعهم المال .. والذين جاءوا بالمال .. خرجوا ومعهم الجاموس والبقر والخضروات .. من الذى فعل هذا ؟ .. الله سبحانه وتعالى .. الذى دبر هذا كله لاستمرار الحياة فى الكون .. وألقى كل هذه الخواطر فى رءوس خلقه .. فالذى هو محتاج للمال .. ألقى الله فى خاطره أن يبيع الجاموسة ليشترى ما يحتاج اليه بثمنها .. والذى عنده المال .. ألقى الله فى خاطره أن يستثمره .. تماما كما يبيع الانسان أرضه ليسافر لبلد آخر .. أوجد الله سبحانه وتعالى .. من يحتاج لهذه الأرض ليشتريها .. والأرض زائدة عن حاجة الأول .. فأوجد له من يتباعها منه .

الكتابة باليمين وباليسار

بل إنه فى التدبير الالهى .. تجد أشياء عجيبة .. معظم الناس تكتب باليمين .. فيوجد الله من خلقه .. من يكتب بيده اليسرى .

بينما إذا حاولت أنت أن تكتب بيدك اليسرى فلا تستطيع .. هذا تكوين الهى فى عقل الانسان .. وتجد إنسانا يستطيع أن يكتب بيديه الأثنتين .. مثل عمر رضى الله عنه .. كان (أضبط) .. أى يفعل الأشياء بكلتا يديه بنفس المهارة .. كل هذا تجده فى الكون .. لتعرف أن :

« الله يخلق ما يشاء »

والله سبحانه وتعالى .. لا يقيد مشيئته فى كونه إلا طلاقة قدرته .. فالخلق ليس قوالب تصنع .. ولكن لكل خلق مراد ومهمة فى الحياة .. وكل مخلوق ميسر لما خلق له .. وهذا معنى :

« يدبر الأمر »

وكما أحسن الله سبحانه وتعالى .. تدبير مالا دخل للانسان فيه .. أحسن تدبير ما للانسان فيه دخل .. بأن أعد كلا لمهمته اعدادا الهيا .. فتجد كل واحد منا مميزا فى شىء .. هو ما أعد من أجله فى هذا الكون .. وباقى الخلق متميزون عنه فى أشياء .. وكل الأمور فى الكون .. تنظم إذا اتحدت مع مرادات الله .. فالله سبحانه وتعالى .. كما أحسن تدبير مالا عمل فيه للانسان .. أحسن تدبير ما فيه عمل للانسان بأن أنزل له منهج حياته .



القهر والاختيار

ومعنى

« يدبر الأمر »

والأمر هو كل شىء يحدث .. أى أن الله سبحانه وتعالى يدبر كل شىء .. ولكن لماذا لم يقل .. الله جل جلاله يدبر كل شىء .. بدلا من قوله تبارك وتعالى :

« يدبر الأمر »

نقول أن كل شىء يخرج من علم الله الى وجودنا المادى بكلمة :

« كن »

العبادة ليست أداء الفرائض فقط ولكنها أيضا فى حفظ الشىء الصالح أو زيادته صلاحا



مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

« إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »
(الآية ٨٢ سورة يس)

وكلمة : « كن »
هذه هى الأمر .. الذى أرادنا الله جل جلاله أن نلتفت اليها .. ومادام الله سبحانه وتعالى .. هو الذى يدبر الأمر .. فخذوا منهجكم عن الله .. فى أفعل ولا تفعل .. لماذا ؟ .. لأن كل واحد منا فيه القهر .. وفيه الاختيار .. أشياء نحن مقهورون فيها .. مثل حركة الجسد .. فحركة القلب ليس لك فيها اختيار .. وكذلك التنفس والمعدة والكبد .. والأمعاء والدورة الدموية .. كل هذه تعمل قهرا .. ولذلك فهى تعمل وأنت نائم .. لا ارادة واعية لك .

وهذا من رحمة الله .. لأنه إذا كان التنفس يتم باختيارك ..

فماذا تفعل وأنت نائم ؟ .. وإذا كان القلب يدق باختيارك .. فكيف تستطيع أن تنام ؟ .. ومن الذى يجعل قلبك يدق وأنت نائم ؟ .. وحركة المعدة والأمعاء ..

عملية الهضم والدورة الدموية .. كل هذا لا دخل لك فيه .. بل لا تحس به .. ولا تدرك ماذا يحدث .. أنت مقهور فى هذا كله .. ولكنك مختار فى أشياء .

هناك أمور اختيارية لا يحكمها المنهج .. فالطعام المباح هو كل أنواع الطعام ماعدا أقل القليل .. وكل الشراب مباح ماعدا أقل القليل .

الله سبحانه وتعالى .. قال افعل ولا تفعل فى أمور محددة .. فالأشياء التى لا يحدث منها فساد فى الكون .. تركها الله سبحانه وتعالى .. لاختيارك دون تحديد .. لانك إذا تناولت اليوم سمكا أو لحوما أو دجاجا .. فهذا لا يحدث فسادا فى الكون .. ولكن الأمور التى يحدث منها فساد فى الكون .. هى التى قيد الله سبحانه وتعالى .. فيها اختيار الانسان .. لماذا ؟ .. اقرأ قول الحق جلا جلاله :

« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض »
(الآية ٧١ سورة المؤمنون)

والله سبحانه وتعالى لا يريد فسادا .. ولذلك فالأشياء التى لا دخل للانسان فيها تسير بدقة .. جعلت الكافر يشهد بها .. ويقول إنه سيحدث كسوف للشمس .. أو خسوف للقمر فى الوقت الفلانى ..

ويحدث فعلا .. لدقة النظام والحركة .. التى أوجدها الله فى الأشياء غير الاختيارية فى كونه .. فإذا أردت أن تمضى حياتك بنفس الدقة .. فاجعل أمورك الاختيارية .. تسير وفق منهج الله .. فتستقيم لك الأمور كلها .

الأصنام لا تضر ولا تنفع

الله سبحانه وتعالى يقول

« يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه »

لماذا جاء الله تبارك وتعالى .. بعد تدبير الأمر بمسألة الشفعاء هذه ؟ .. نقول لأن الذين أرادوا أن يشاركوا الله .. فى تدبير أمور كونه .. واعترضوا على أن الله سبحانه وتعالى .. أرسل بشرا رسولا .. هم الذين كانوا كما يروى لنا القرآن الكريم :

« ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »
(من الآية ١٨ سورة يونس)

نقول لهم .. أنتم تقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله .. والانسان لا يحتاج الى شفيع .. يشفع له عند من يملك الأمر .. إلا إذا كان قد ارتكب إثما أو جريمة يطلب فيها الشفاعة ..

اذن فقولهم هذا .. دليل على أنهم ارتكبوا جرائم أو قصروا فى أشياء .. الآية الكريمة تقول لنا :

« ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم »

والأصنام التى يعبدونها لن تضرهم إن لم يعبدوها .. ولن تنفعهم إن عبدوها .. ومعنى كلمة شفاعة .. الشفع ضد الوتر .. والوتر مالا يقبل القسمة على أثنين .. مثل واحد أو ثلاثة .. أو خمسة أو سبعة أو تسعة أو غير ذلك .. والشفع هو ما يقبل القسمة على اثنين .. والشفاعة لا تتم إلا بأقلها اثنين .. فانسان مثلا أخطأ فى حق الله .. لا يستطيع أن يقابل الله بمفرده لأنه مقصر .. فيأخذ معه فردا آخر يشفع له .. اذن فالشفع معناه .. أنك تؤيد موقفك .. بشخص آخر يأتى معك ليشفع لك .

نقول لهؤلاء المشركين .. أنتم تقولون .. هؤلاء شفعاؤنا عند الله .. ولا يوجد أحد من الناس .. يشفع عند الله .. إلا من يأذن الله سبحانه وتعالى له .. مصداقا لقوله جل جلاله :

« من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه »
(الآية ٢٥٥ سورة البقرة)

عناصر الشفاعة



والشفاعة تقتضى شافعا .. ومشفوعا عنده .. ومشفوعا له .. ومشفوعا به .. أى أنها تقتضى أربعة عناصر .. فإذا أردت أن تشفع لانسان .. فأنت شافع .. وهذا الانسان مشفوع له .. والرئيس الذى ستذهب اليه للشفاعة مشفوع عنده .. والأمر الذى ستتحدث فيه مشفوع فيه .. هذه هى العناصر الأربعة .. المشركون قالوا .. هؤلاء شفعاؤنا عند الله .. اذن فهم قد اعترفوا .. أن هناك تقصيرا .. وهذا التقصير فى حق الله .. فهو مشفوع عنده .. والمشفوع فيه تخفيف العذاب أو غفران الذنب .. اذن فالعناصر كلها متكاملة .. المشفوع فيه .. وهو الذنب .. والمشفوع عنده وهو الله .. أمران لا يدخلان فى نقاشنا هذا .. ولكننا نتحدث عن الشافع والمشفوع له .

هل يصلح أى إنسان أن يكون شافعا .. هل تأتى بأى واحد من الطريق .. ليشفع لك عند الوزير أو المحافظ ؟ .. بالطبع لا .. لابد أن تأتى بانسان .. له منزلة عند الوزير أو المحافظ .. أو مقرب له حتى يقبل شفاعته .. اذن فعند البشر .. ليس هناك شفيع على اطلاقه .. بل لابد أن يكون الشفيع .. قريبا أوله منزلة خاصة عند من سيشفع عنده .. الله سبحانه وتعالى يقول :

« من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه »

ويقول جل جلاله :

« ما من شفيع إلا من بعد إذنه »
(الآية ٣ سورة يونس)

من هو الشفيع

اذن فكلتا الآيتين تبين لنا .. أن الشفيع عند الله .. هو المأذون له من الله جل جلاله بالشفاعة .. أو مأذون له أن يكون شفيعا .. والحق سبحانه وتعالى .. بين لنا من يأذن له بالشفاعة .. فى قوله تعالى :

« إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا »
(الآية ١٠٩ سورة طه)

ونعرف أنه لابد أن يكون هناك اذن من الله سبحانه وتعالى ورضا .. هذا بالنسبة للشافع .. لابد أن يتوافر فيه هذان الشرطان أما المشفوع له .. فلابد أن يكون ممن يرضى الله تبارك وتعالى عنهم .. مصداقا لقوله جل جلاله :

« ولا يشفعون إلا لمن ارتضى »
(الآية ٣٨ سورة الأنبياء)

الاكثار من الحسنات لمحو السيئات

فإذا أردنا أن نوضح الموقف كله .. فالمشفوع عنده هو الله سبحانه وتعالى .. والمشفوع فيه هى الذنوب والمعاصى .. والشافع لابد أن يكون عنده اذن ورضا من الله .. والمشفوع له لابد أن يكون مرضيا عنه .. وهنا لنا وقفة .. إذا كان المشفوع له .. لابد أن يكون مرضيا عنه من الله سبحانه وتعالى .. فلماذا يحتاج الى الشفاعة ؟ .. هذه نقطة دقيقة .. لابد ان نلتفت اليها .. كل انسان له نقاط ضعف فى حياته ..

قد تكون كثيرة .. وقد تكون قليلة .. فإذا جاء فى نقطة الضعف وأذنب .. يأتى فى النقطة التى ليس ضعيفا فيها ويزيد .. مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى :

« إن الحسنات يذهبن السيئات »
(الآية ١١٤ سورة هود)

العبادة تنفع العابد ولا تنفع المعبود لأن طاعة الله تجعل الجميع متساندين لا متعاندين



فالله أمر صاحب السيئة .. أن يكثر من الحسنات .. لتمحو السيئة .. لماذا ؟ .. لأن الله لا يريد أن يحرم الناس .. من حسنات صاحب السيئة ..

بل يجعله يزيد فى حسناته .. فينتفع بها المجتمع الايمانى .. هذه واحدة .. والثانية حتى لا ييأس صاحب السيئة لأنه ارتكبها .. فينصرف عن الحسنات ..

لأنه مادام لا شىء يمحو سيئة .. وهو معذب بها .. داخل الى النار لا محالة .. فلماذا الحسنات إذن ؟ .. ولذلك نجد فى الحديث الشريف .. أن رجلا وجد كلبا يلهث من العطش .. ولم يجد اناء يملؤه ليسقى الكلب .. فخلع نعله ونزل البئر وملأ النعل ماء وسقى الكلب ..

هذه الحسنة فعلها لوجه الله .. فلا يمكن أن يقال إن هذا الرجل .. سقى الكلب نفاقا أو رياء .. فلا يمكن لانسان أن ينافق كلبا .. فغفر الله لهذا الرجل لأنه سقى كلبا .. ولكن أيمكن لهذه الحسنة .. أن تمحو كل سيئات هذا الرجل .. نقول إنها على الأقل .. قد جعلته أهلا لشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهو المأذون له بالشفاعة .. فيشفع له .

والرسول عليه الصلاة والسلام مأذون له بالشفاعة ..

والمؤمن قد يشفع لأخيه المؤمن .. والأب قد يشفع لأبنه .. ولذلك فأنت تحسن لكل هؤلاء .. لعلك تحتاج منهم شفاعة .. يكون مأذونا لهم بها ..

فتحسن دينك .. وتحسن لوالديك .. وتحسن لاخوتك المؤمنين .. فقد ينفعك هذا كله فى الشفاعة يوم القيامة .

وإذا قرأنا الفاتحة .. نجد قول الحق سبحانه وتعالى :

« إياك نعبد وإياك نستعين » (الآية ٥ سورة الفاتحة)

لا يقول كل واحد منا إياك أعبد .. ولكننا نقول :

« إياك نعبد »

بصيغة الجمع .. لماذا ؟ .. حتى إذا قبلها الله جل جلاله من واحد منا .. يقبلها منا جميعا بالشفاعة .. أى إن كان فينا مرضى عنه .. مقبول منه فخذنا معه .. اذن فالشفاعة عند الله شرطها .. إذن ورضا للشافع .. ورضا للمشفوع له .. اذن فالشافع لابد أن يرضى بأن يشفع للمشفوع له .. والمشفوع له تكون له ناحية حسنات أجاد فيها ورضى الله عنه بها ..

حكاية عمر والعصفور

ولقد سئلت سؤالا .. عن أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. رآه أحد الصالحين فى المنام .. فسأله ماذا فعل الله بك يا ابن الخطاب .. قال ابن الخطاب رأيت غلاما يعبث بعصفور .. فاشتريته من الغلام .. وأخذت العصفور فأطلقته فغفر الله لى .

وهنا تعجب أحد السامعين وقال .. أكل الصالحات التى فعلها عمر .. ليس فيها إلا حكاية إطلاق العصفور .. فقيل له افهم .. كل الحسنات التى فعلها عمر لرفع الدرجات .. أما إطلاق العصفور فلغفر الخطايا .. وفى سورة البقرة .. نقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

« واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا » (من الآية ٤٨ سورة البقرة)



أكاذيب المستشرقين

ولقد جاءت هذه الآية مرتين .. ولكن الجزء الأخير فى الآية اختلف .. وهنا اطلق المستشرقون أكاذيبهم .. عن التكرار فى القرآن الكريم .. نقول لهم أنتم لم تفهموا شيئا .. الآية الأولى تقول :

« واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل »

والآية الثانية تقول :

« واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة »

فى الآية الأولى تقدمت الشفاعة على العدل ..

وفى الآية الثانية تقدم العدل على الشفاعة .. نلاحظ هنا أن الله سبحانه وتعالى .. قال فى الآية الأولى :

« لا تقبل منها شفاعة »

وفى الثانية :

« لا تنفعها شفاعة »

نقول إن الانسان إذا كان له مسألة عند انسان آخر .. ولا يستطيع أن يتمها .. أتى بمن له دلال ومكانة عند هذا الانسان ليشفع له .. أول ما يذهب الشافع عند المشفوع يقول له .. جئت أشفع لفلان فيقدم الشفاعة .. فإذا لم تقبل يقول له أنا اتحمل العدل أى المقابل فى هذه المسألة .. هذا هو الترتيب .

اذن فقول الحق سبحانه وتعالى :

« لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل »

أى من الذى جاء يشفع .. ومادام جاء يشفع لم تقبل شفاعته .. يقول سندفع المطلوب منه فيقال له لن نقبل الدفع .

الآية الثانية لها معنى آخر .. يقول الله سبحانه وتعالى :

« لا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة »

أى أن المشفوع له قدم العدل فلم يقبل منه .. فاتى بشفيع فلم تنفع شفاعته .. وهكذا نرى أن الآيتين مختلفتان تماما فى المعنى .. لأن هناك نفسين : نفسا شافعة ونفسا مشفوعا لها ..

الضمير فى الآية الأولى .. عاد على النفس الشافعة .

ولذلك قال الله تبارك وتعالى :

« لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل »

والضمير فى الآية الثانية .. عاد على النفس المشفوع لها .. ولذلك قال الله جل جلاله :

« لا يؤخذ منها عدل »

ولم يقل لا يقبل منها شفاعة .. ولكن قال :

« لا تنفعها شفاعة » .

الله سبحانه وتعالى يقول :

« إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه »

كل الصفات التى تقدمت هى لله تبارك وتعالى .. خلق الكون وخلق الانسان .. واستقرت له الأمور .. ونحن قلنا إن الله قد طلب منا .. أن نشهد انه لا إله إلا هو .. وهو سبحانه وتعالى شهد لنفسه .. وقال :

« شهد أنه لا إله إلا هو » (من الآية ١٨ سورة آل عمران)

أى أن أوامره فى الكون نافذة .. لأنه لا إله غيره .. ثم قال تبارك وتعالى :

« فاعبدوه »

لأنه هو سبحانه وتعالى .. الذى خلق من عدم .. وله كل صفات الكمال المطلق .. هو الذى يدبر الأمر كله .. فيجب أن نعبده .. ولذلك قال سبحانه :

« وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (الآية ٥٦ سورة الذاريات)

ثمرة الطاعة

اذن فأساس الخلق هو العبادة .. وهى لا تزيد فى ملك الله شيئا .. ولا تنقص منه شيئا .. وهو جل جلاله بملكه وكمال صفاته .. عبدتموه أم لم تعبدوه .

وهكذا نعرف أن العبادة تنفع العابد ولا تنفع المعبود .. لأن العبادة طاعة الله سبحانه وتعالى فى أوامره .. وإذا أطاع الخلق أوامر الخالق .. خرجوا عن أهوائهم .. لأن الله جل جلاله لا هوى عنده .. وبهذا أخذ كل حقه .. فلا تصطدم ارادة بارادة .. بل يصبح الجميع مع الحق .. ولكن إذا تحكمت الأهواء .. أنا أريد وأنت تريد .. تصادمت ارادة بارادة فاصبح العالم متعاندا .. ومن هنا يحدث الفساد .. وإذا توحدت مرادات الخلق مع مرادات الله .

والانسان قد يأنف أن يخضع لمساويه .. ولكنه يسر وينشرح صدره بالخضوع لله . فهذا ليس خضوع بشر لبشر .. ولكن خضوع مخلوق لخالق .

وإلى لقاء آخر إن شاء الله